



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2024/08/24

تاريخ القبول: 2025/06/05

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

فينومينولوجيا العمارة والحياة اليومية للفرد والمجتمع

- قراءة سوسولوجية للواقع الجزائري -

*Architecture phenomenology and the
everyday life of the individual and the society
-A sociological reading of the Algerian reality-*

طرابلسي عبد الحق¹، حفصة طاهر²¹مخبر الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية في الجزائر، جامعة محمد الشريف مساعدي،سوق أهراس، الجزائر. a.traboulssi@univ-soukahrass.dz²جامعة تيارت. الجزائر tahar.hafsa@univ-tiaret.dz

الملخص: تعتبر العمارة الروح الثقافية والتاريخية للمجتمع وهيولته الاجتماعية وتجلياته الحضارية، فالعمارة ليست مجرد بناء حجري يتم إنشاؤه وفق مبدأ الفراغ والكتلة فحسب، فهي امتداد لهوية الفرد والمجتمع وتعكس الكثير من تفاصيل حياته اليومية، لذلك فإن هدف البحث سيكون حول فينومينولوجيا العمارة في الحياة الاجتماعية كمر استمولوجي لقراءة سوسولوجية للواقع الجزائري، فالفهم الفينومينولوجي للعمارة يركز على العديد من المفاهيم التحليلية كالمعاني والتصورات المشتركة والفهم الشائع التي تشكل الذخيرة المعرفية في تشكيل الوعي الإنساني وكل خبراته، وسنستعين بمفهوم التصنيف لألفرد شوتز ومفهوم الإبوخية والرد الترانسدنتالي في فهم العناصر الفينومونولوجية للعمارة وأهميتها في الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع وفق أبعاد التاريخ والتراث، الدين، الهوية والذات، التصميم البيوفيلي الحديث للعمارة) والقيام بقراءة سوسولوجية للواقع الجزائري وفق هذه الأبعاد الفينومينولوجية.

Abstract: Architecture is regarded as the cultural and historical spirit of society, its social essence, and its civilizational manifestations. It is not merely a stone structure constructed according to the principle of space and mass; it is an extension of the identity of both the individual and society, reflecting numerous details of his daily life. Therefore, this research aims to explore the phenomenology of architecture in social life as an epistemological pathway for a sociological reading of Algerian reality. The phenomenological understanding of architecture is based on many analytical concepts such as shared meanings and perceptions, and common understandings that form the cognitive stock in shaping human consciousness and all its experiences. We will employ Alfred Schutz's concept of classification and the concepts of epochism and transcendental response to understand the phenomenological elements of architecture and their importance in the social life of individuals and society, in the context of history, heritage, religion, identity, and modern biophilic architectural design and do a sociological reading of the Algerian reality according to these phenomenological dimensions.

Keywords: phenomenology of architecture, history and heritage, religion, identity and self, biophilic design.

تعتبر العمارة ضرورة وجودية للإنسان وهي الدليل التراثي والرمزي لتنوع النحل والأجناس والثقافات على مر التاريخ، كما لا يخفى على الكثير من الباحثين في الإنسانيات أن العمارة تعتبر إحدى أهم التجليات الحضارية للأمم والشعوب، وتعكس اللمسات الثقافية التي يستشعرها الفرد والمجتمع في حياته اليومية وتشكل تفاصيل وجوده ومعاشه وهي جزء من التكوين الهويي الراسخ والمتعالي في العوالم الحاضرة، كما قد يمتد التأثير الانطولوجي والفينومينولوجي للعمارة لتصبح جزءا من مشاهد يومية قد تعجبنا وتطرب لها أنفسنا من قوة الجماليات التصميمية لها وقد تؤثر فينا سلبا عندما تتحول إلى بناء ركامي قد يعبث براحتنا النفسية وحتى الجسدية عندما يساء تصميمه أو بناؤه.

كما لا يمكن بأي حال من الأحوال اختزال مفهوم العمارة في بناءات ركامية تشيد انطلاقا من الكتلة والفراغ وحسن التنظيم بينهما فحسب، على الرغم من أهمية البناء في هوية العمارة ووجدانياتها للفرد والمجتمع فالعمارة روح المجتمع وهيوته الاجتماعية والحضارية والجمالية وحتى الدينية بل هي صنف فني متميز مشبع بقيم الرومانسية والتراث والتعاليم والرموز الدينية المختلفة، فالكثير من شعوب العالم نجدها تفتخر بتراثها المعماري بل وتصبح العمارة في حد ذاتها رمزا قوميا ووطنيا لها مثل الاهرامات عند المصريين، والمساجد والكعبة المشرفة عند المسلمين، وكنائس المسيحيين، ومعابد البوذيين والهندوس، كلها كيانات معمارية حضارية مترسخة في هوية الشعوب والمجموعات الحضارية.

فالعمارة عبر التاريخ الإنساني كانت دوما مصدر لانبعث القيمة والمعنى وتحقيق الاستدامة الاجتماعية ونافذة نطل من خلالها على حقبات تاريخية مهمة في الحضارة البشرية، فهي تضمن ذلك الترابط الأخلاقي والمعنوي بين الماضي والحاضر وكيف انتقل هذا الإنسان من البحث عن كوخ خشبي بدائي قرب نار تضمن له الأمن والحماية والعيش، إلى إشعاع ينبع من جذوة لبيب فكري إبداعي نلاحظه من خلال انسيابية معاصرة في تصميم العمارة الحديثة.

وعموما فالعمارة تعكس وجودا فنومينولوجيا متنوعا انطلاقا من الذات والهوية والدين والتاريخ والتراث والإحساس العميق بالطبيعة (الضوء، الماء، الهواء، الحرارة، النبات، الحيوان)، والوعي الوجداني بأهمية وجودنا ضمن فضاء معماري نرتاح فيه بل يكون جزءا منا نحكي تفاصيله بشكل يومي في حياتنا الاجتماعية.

ومن خلال ما سبق يتضح أن البحث يتجه لتوضيح الأهداف التالية ضمن قراءة سوسولوجية للواقع الجزائري ويتمثل الهدف الرئيسي للبحث :

وستتم الإجابة على الهدف الرئيسي الموضح أعلاه من خلال الأهداف الفرعية للبحث:

أولا: أهمية فينومينولوجيا التراث والتاريخ للعمارة في الحياة اليومية للفرد والمجتمع

ثانيا: أهمية فينومينولوجيا الدين للعمارة في الحياة اليومية للفرد والمجتمع

ثالثا: أهمية فينومينولوجيا الذات والهوية للعمارة في الحياة اليومية للفرد والمجتمع

رابعا: أهمية فينومينولوجيا التصميم البيوفيلي للعمارة في الحياة اليومية للفرد والمجتمع

2. مفاهيم الدراسة:

1.2 مفهوم العمارة:

يقول فيكتور هيجو " العمارة هي السيمفونية العظيمة الخالدة من الحجر وهي ذلك العمل الضخم لإنسان وأمة"، وهذا يبين أهمية العمارة في حياة الإنسان والتي تعتبر السجل الموثوق والشاهد الحسي لحضارته وتاريخه وهي الفن الإنشائي الذي يعكس حضارة الأمم والشعوب، وسنقدم عرضا للتعريف بمفهوم العمارة لغة واصطلاحا كما يلي:

لغة: وتعرف على أنها نقيض الخراب والبنيان وما يفظ به المكان وتطلق على المبنى الكبير الذي يتمون من جملة مساكن في طوابق متعددة، وتجمع في عمائر ويقال استعمر الله تعالى عباده في الأرض طلب منهم إحياءها وتحسين حالها بواسطة البناء والفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجاح الأعمال والتمدن، ويقال عمر الله بك منزلك يعمره عمارة وأعمره جعله أهلا وعمر الخراب يعمره عمارة إحياء والعمر هو الحياة وسمي الرجل عمرا تفأؤا أن يبقى، فالعمارة في اللغة تنفيذ معنى البناء والتشييد والغرس وإحياء الأرض وإصلاحها (مصطفى ، 2020 . ص 113-114).

وتعتبر العمارة إحدى أهم مقاصد الشريعة الإسلامية فوجود الإنسان هو بقصد العبادة والعمارة، ويشرح ابن خلدون ذلك أكثر " ولا يحصل له أيضا دفاعا عن نفسه لفقدان السلاح، فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبتل نوع البشر، وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فإذا هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أَرَادَهُ الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم وهذا هو معنى العمران" (ابن خلدون ، 2005 ، ص 39)، عند الحديث عن التعريف الاصطلاحي للعمارة لا يمكن أن نتجاهل تلك المراحل التاريخية لتطور نظرية العمارة انطلاقا من مدرسة شيغاغو لنمط العمارة العضوية مع لويس سوليفان، ثم ظهور عراب المسرح العمراني والذي يسمى بيكاسو العمارة وهو لوكوربوزيه ونظريته للعمارة التكيفية والذي عرف العمارة باللعب المتقن بالكتل المنظورة تحت الضوء، كما كان تأثير مدرسة الباوهاوس في ألمانيا واضحا وكان روادها مبدعون في تطوير العمارة الحديثة خاصة عند هجرهم للولايات المتحدة الأمريكية، وتعرف العمارة أنها أداة فنية شاحضة تعكس من خلال منشأها مستويات وحاجات المجتمع لذا فإنها ليست أشكالا مرئية نابعة من وعي فني فردي للمعمار فقط، وإنما هي تعبر عن مفهوم المحيط الاجتماعي وظروفه وبذلك تكون سجلا واضحا وراسخا لحضارة ذلك المجتمع (فرحات ، حوراء، 2021 ، ص 3)، كما ارتبط مفهوم العمارة في الكثير من الأبحاث بالارتباط المحتوم بين تعليم الهندسة المعمارية وعلاقته بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ بوصفها جزءا من فهمنا الناضج للعمارة ويوضح

كل من Hilde Heynen، Rajesh Heynickx ، Sebastiaan Loosen :

"uring the 1960s both the practice and the pedagogy of late modern architecture came into crisis. Once the superstructure of the profession came to be seen as questionable, architecture learned to build a new ideological project out of the very criticism that it encountered: rather than technological optimization or planning for a society to come, the vector of intellectual speculation turned towards history, sociology, philosophy, anthropology, linguistics, feminism, cultural studies, and other humanities (both of the

discipline itself as well as the society at large)." (Sebastiaan, Rajesh , Hilde ,2020 , p154).

2.2 فينومينولوجيا العمارة:

تخترق الفينومينولوجيا كاتجاه فلسفي وسوسولوجي فهمنا للواقع الذي نعيشه يوميا، وتعطي نماذج علمية ومنهجية قد تبدو مختلفة نوعا ما عن تلك الأعراف الاستمولوجية الوضعية في فهم الباحثين للظواهر الإنسانية والاجتماعية، فهي تعتبر الحياة المعاشة خبرة للوعي والذات والأشياء وتنميط التجارب الإنسانية من خلال عمليات الحس والإدراك والتأويل والتي تعتبر ملكات الوعي البشري، ونستطيع من خلالها ملأ ذخائرها المعرفية بسياقات متنوعة للمعنى، والتي تشكل في النهاية نماذج أفعالنا الاجتماعية وصورتها في المجتمع.

ويعتبر آدموند هوسرل الأب الروحي للفلسفة الفينومينولوجية، والذي نادى تكرار بضرورة الابتعاد عن صنمية العلم من خلال المعاينة الخارجية والاقتراب أكثر لتأويلات الناس ووعبهم بعالمهم وتصوراتهم الاجتماعية والمعاني الحقيقية المشتركة، ويشير إبراهيم عيسى عثمان "يعتبر ظهور الفلسفة الظاهرية إلى آدموند هوسرل ويرى هذا أن حقيقة الواقع تتمثل في الوعي والتأملات والتصورات التي يحملها الإنسان ويشكلها للحياة الاجتماعية، وأن هذا الوعي وهذه التصورات مرتبطة بخبرات الإنسان فمن خلال الحواس كوسيط وفي إطار خبرات الإنسان، تتشكل حقيقة الواقع الاجتماعي كحقيقة عقلية ممثلة بالوعي وبهذا فليس هناك حقيقة واقع مستقلة عما يحمله الإنسان لهذا الواقع من معان تمثل الوعي العقلي بما والذي تشكل في إطار الخبرات الإنسانية" (إبراهيم، 2008، ص 240).

ويرى آدموند هوسرل أن الوعي المعرفي هو الأساس في الدراسة الفينومينولوجية، ويتطلب ذلك العزل البحثي في الموضوعات والتركيز على النمط والشكل الذي تظهر فيه الموضوعات في الوعي، أي تعليق الحكم على الموضوع ورد الموضوع إلى الوعي وهذا ما سماه الإبوخية والرد الفينومينولوجي الترانسندنتالي.

كما يعتبر الفريد شوتز خير من طبق الفينومينولوجيا في علم الاجتماع وذلك من خلال مفهوم الحياة اليومية والذي اعتبره الممر الاستمولوجي الأنسب لدراسة الواقع الإنساني وفق المنظور الفينومينولوجي، من خلال ظواهر المعنى والوعي والفهم الشائع، وما ارتبط بها من تنميطات معينة للعالم الذي نعيشه ونكتسب من خلاله الخبرات والتجارب والتي تشكل تصنيفا تصوريا مشتركا بين الجماعات المختلفة لظواهر وأشياء الحياة اليومية "اغفل شوتز قضية الواقع الموضوعي وركز على كيفية قيام الفاعلين الاجتماعيين بإضفاء معنى على خبراتهم وتصنيفها بما في ذلك تأويل أفعال الآخرين وهذا بالنسبة له هو الغرض من علم الاجتماع وليس تفسير السلوك الإنساني باعتباره نتاج أسباب خارجية بعينها" (مصطفى، 2011، ص 187).

وعليه يبدو أن الدراسة الفينومينولوجية للعمارة تكون من خلال الشعور والوعي الإنساني بالعمارة بما تشكله من معاني وتصورات معينة في المخيال الاجتماعي للأفراد والجماعات ثم إن التطبيق الفينومينولوجي للعلاقة الانطولوجية بين الإنسان والعمارة يجعل منها الموضوع الذي نرده إلى وعي الفاعلين الاجتماعيين، أي الإبوخية والرد الترانسندنتالي، وليست مجرد ركام مادي لا معنى له في وعي الأفراد والجماعات التي تتفاعل مع المباني من خلال ردودها الحسية والشعورية. ثم إن المعنى الذي تضيفه العمارة كموضوع على الحياة اليومية للناس هو ما يشكل التأويل الفينومينولوجي والفهم الشائع بينهم حول الحقائق المرتبطة بوجودهم كما يبدو أن التحليل الفينومينولوجي أكثر وجدانية للإنسان

ورومانسية وقربا من العاطفة الاجتماعية، بل نفهم من خلاله كيف يفهم الناس واقعهم الذي يعيشونه ويحسونه، وهذا ما يجعلنا نتعرف على أهمية العمارة كبناء كتلي ومعنى إنساني وتاريخ حضاري وبيئة طبيعية تشكل جزءا أساسيا من فينومينولوجية حياتنا اليومية " تشكل الفينومينولوجيا إطارا مهما لفهم خصائص الشعور والوعي للتكوينات المعمارية المادية حيث أنها تنظر إلى الحقيقة على أنها كل ما يدركه الإنسان في داخل وعيه، ومن خلال هذه الرؤية يظهر المنتج المعماري كحقيقة لا تعبر عما يدركه المعماري بالقدر الذي تتجاوب فيه مع وعي المجتمع الذي يتعايش مع العمل المعماري " (مصطفى، 2017، ص4) كما ارتبطت العمارة كموضوع بفلسفة فينومينولوجيا الوجود خاصة مناقشة هيدغر.

"This was the first time in over a century that a major philosopher had written directly on the subject of architecture, even though it was Heidegger's ambition to radically shift the discussion away from architecture to "bauen." In other words, the text that help found a disciplinary domain that came to be known as "architectural theory" was a text that demand-ed that one turn away from architecture and toward somethingaltogether different. Pos Heideggerian theory was not about making architecture better, more meaningful, or more suited to the demands of modern life" (Mark,2005, P1).

وسنقوم من خلال هذا البحث بدراسة فينومينولوجيا العمارة وأهميتها في الحياة اليومية للأفراد والمجتمع، وذلك من خلال وعي الجماعات والأفراد بأهمية العمارة في حياتهم والمعاني التي تتخذها التصاميم المعمارية في وجودهم وتأثيراتها على أحاسيسهم ومشاعرهم، وطريقة عيشهم، وتصوراتهم وفهمهم لواقعهم اليومي، وذلك من خلال توضيح أهمية فينومينولوجيا العمارة من حيث التاريخ والتراث والدين والهوية والذات في الحياة اليومية للأفراد والجماعات، وكذا فينومينولوجيا التصاميم البيوفيلية وأهميتها على الأفراد من حيث الهواء والماء والنبات وكل عناصر الطبيعة، ومدى ارتباط الإنسان بالمكان والزمان والطبيعة التي يعيش فيها وما ينتج عنها من الوصول إلى عمارة بيوفيلية تتناغم الحياة فيها وتنسجم مع بيئة طبيعية تتشكل من عناصر بعيدة عن الكتلة والأثقال الجامدة فحسب بل البحث عن عمارة الجمال والفن والطبيعة.

3. أهمية فينومينولوجيا التاريخ والتراث للعمارة في الحياة اليومية:

تعتبر العمارة الكتاب المفتوح للتاريخ البشري على كوكب الأرض فهي الشاهد المادي والمعنوي لوجود الإنسان وتشبيده للحضائر والمدن، كما أن الكثير من المجموعات الإنسانية كانت تسعى دوما لتخليد حضارتها وثقافتها من خلال البنين والعمارة، والتي تصبح رمزا تاريخيا لوجودها في عصور قد تمتد لعشرات الآلاف من السنين فمعظم التراث الإنساني للحضارات القديمة عبارة عن آثار معمارية ومعظم الحقائق التاريخية على مدى وجود الإنسان تحكيها العمارة، بما تحتويه من رسومات ونقوش ورموز ومعاني ودلالات تفسر من خلالها تاريخ الأمم والشعوب والحضارات، وهذا ما يشكل تصوراتنا حول تاريخنا الحضاري ويرسخ الوعي الفينومينولوجي بأهميته في حياتنا اليومية.

كما أن وجود الإنسان البدائي كان مرتبطا بما يوفر له الحماية والمأوى والغذاء. وهذا ما يتوافق مع هرمية مازلو للحاجات الإنسانية، لذا فإن الكوخ الخشبي يعتبر أولى أشكال البنين والسكن والذي ارتبط بالنار كوسيلة للحماية والغذاء والذي يعتبر الذاكرة الأولى للعمارة.

"There is a shared assumption among architectural historians and theorists that the primitive hut¹ was erected around fire. This suggests that fire was once central to architectural space, which agrees with the general notions of fire's centrality in early human life and thought. It also reveals that architectural evolution has a starting point, the fire of the primitive hut. Before fire there is a dark empty space associated with oblivion; with fire comes architecture, and thus architecture's first memory" (Stamatis, 2024, p88).

كما يتضح أن المطلب الفينومينولوجي الأول لوجود العمارة في حياة الإنسان هو مطلب وجودي في الأساس أي الوعي بالوجود، و ضرورة أن تكون العمارة وسيلة للحماية والأمن وضمان البقاء وهذا ما تشير إليه الكثير من الكتابات في تاريخ البناء المعماري وحتى أن التصميم المعماري على مر التاريخ واختلاف الأمم والشعوب والحضارات والمصممين اكتسبت وعيا اجتماعيا خاصا بتصميم عمارة تستجيب بشكل مرن للاحتياجات الإنسانية الأولية للحياة، "يكتب تاريخ العمارة عادة بهدف تاريخ البناء من خلال نظريات عن أصول العمارة الوظيفية بدءا من الكوخ البدائي، وما تلاه من تطورات فرضت تكيف البناء مع الظروف المحلية كالطين في بلاد ما بين النهرين وحجر الغرانيت في مصر والرخام في بلاد الإغريق" (وليام، 2011، ص13).

كما أن ظهور الحضائر والدول وتطورها كان متجسدا في التراث المعماري الذي يظل شاهدا على قيام تلك الحضارات وبل يساهم الى حد كبير في وعي الأفراد والجماعات بتاريخ حضارتها، ويساهم في نقل الحقائق التاريخية والتراث الثقافي والديني والاجتماعي والسياسي للأجيال اللاحقة، وهذا ما يزيد في تكوين التصورات المشتركة للأفراد حول الهوية التاريخية والثقافية، بل ويعتزون بعمارتهم وبنياهم التاريخي الذي يميزهم عن غيرهم فنجد المصريين حاليا على سبيل المثال يعتزون بآثارهم المعمارية الفرعونية ويعتبرون أنفسهم فراعنة الأهرامات، ونجد الإغريق يعتزون بالمباني والصروح المعمارية التي مورست فيها الحياة السياسية الديمقراطية ويعتبرونها أول ما شيد لهذا الهدف الإنساني، ونجد المسلمين في كل أنحاء العالم يقدسون العمارة الإسلامية من مساجد وقصور ودور العبادة، وتعتبر الكعبة الشريفة ومسجد الحرام العمارة الأكثر تقديسا وحبا من طرف الإنسان المسلم بل كانت وستظل على مدى التاريخ البشري أكثر العمارات تأثيرا في الحياة الإنسانية، فهي هوية المسلمين العقديّة والتاريخية وتعيش معالمها في الوعي الوجداني لهم، وهي كذلك أكثر العمارات زيارة من البشر على مر التاريخ، فباختصار إن مشاعر المسلمين وأحاسيسهم وعقيدتهم وروح الفكر عندهم ووجدانهم كلها متعلقة بالكعبة الشريفة فهي مترسخة في الحياة الفينومينولوجية عندهم.

وللفهم الفينومينولوجي أكثر لتاريخ وتراث العمارة سنستعين بمفهوم التصنيف عند الفريد شوتز الذي يعتبره مفهوما محوريا في رصد المعاني المشتركة، التي على أساسها يقوم الأفراد والجماعات على تصنيف الظواهر والأشياء، فالشعوب والأمم والجماعات الاجتماعية تصنف أنفسها على أساس المعاني المشتركة التي تتخذها العمارة في تصوراتها وهويتها التاريخية والثقافية، كان يكون المسجد صنف معماري خاص بالمسلمين وتكون العمارة القوطية خاصة بالأوروبي، كما أن تاريخ العمارة قد انتقل من مرحلة حضارية تلو الأخرى وفي كل مرة نجد التصميم المعماري يعكس المرحلة الحضارية والثقافية والسياسية والاجتماعية والعقدية لتلك المجتمعات.

وعموما نلخص أهم المراحل التاريخية لتطور العمارة كما يلي:

المرحلة الأولى: عمارة العصور القديمة ولعل أهمها العمارة الفرعونية واليونانية والرومانية والصينية، فكانت تعكس النوع العقائدي آنذاك أو الحالة الاجتماعية والسياسية وكانت تتميز بالعظمة والتميز في البناء، فالعمارة الفرعونية معروفة بالأهرامات والمعابد والمقابر، والعمارة الرومانية معروفة بالقوة والرموز الدينية والعسكرية، وكانت العمارة في العصور القديمة تحاكي ذلك الصراع الوجودي بين المادة والروح.

المرحلة الثانية: العمارة الدينية ولعل أشهرها العمارة الإسلامية والمسيحية

المرحلة الثالثة: العمارة القوطية هي طراز ازدهر في أوروبا خلال القرون الوسطى العليا والمتأخرة. تطور هذا الطراز من العمارة الرومانسكية وتبعته عمارة عصر النهضة. نشأ في فرنسا في القرن الثاني عشر، واستُخدم على نطاق واسع خاصة في الكاتدرائيات والكنائس حتى القرن السادس عشر.

المرحلة الرابعة: عمارة عصر النهضة تطورت في فلورنسيا ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ميلادي، حيث اعتبرت الفترة الكلاسيكية القديمة للعهد الإغريقي والروماني مصدر الهام فكري لعصر النهضة في إيطاليا والاهتمام بالشق الإنساني التنويري (خيرى مرعي، ص 9).

https://faculty.ksu.edu.sa/sites/default/files/01_renaissance_16_sept_16.pdf

المرحلة الخامسة: فترة الحداثة وما بعد الحداثة من أشهر أعلام العمارة الحديثة المهندس المعماري لوكاربيوزيه، والعمارة الحديثة ركزت على تبسيط الشكل العام مع التقليل من الزخارف والتركيز على الانسيابية والمتانة، والكثير من المهندسين المعماريين في العالم لهم تقريبا نفس التوجهات المشابهة في التصميم المعمارية وهذا ما يفقد العمارة الكثير من بريقها الحضاري والثقافي بتوحيد نموذج مشترك للتصميم وهذا ما يعرف بالعمارة المعولة، وهنا لا نغفل بعض الأشكال المعمارية للكثير من الشعوب المحلية والمجتمعات، التي ظلت تحافظ بشكل أكثر حزم على العمارة الأصيلة التي تعكس خصوصيتها التاريخية والحضارية، ولعل أبرز مثال في ذلك هو الشكل المعماري الآسيوي وخاصة الصيني والياباني الذي تميز بشكل الانسياب والأسقف ذات التدرج المتتالي "إن رسالة التعمير في العصر الحديث ليس الغرض منها التخطيط وتنظيم وتجميل مدن ذات طابع زخرفي أو بناء مساكن جميلة تعمل على تحميل تلك المدن وإظهارها بمظهر العصر الحديث" (توفيق، 1972، ص 18)، وظهرت عمارة ما بعد الحداثة في ستينيات القرن العشرين كردة فعل ضد أوجه القصور التي لوحظت في عمارة الحداثة، خاصة مبادئها الصارمة، وانتظامها، وافتقارها إلى الزخرفة، وعادتها في تجاهل تاريخ المدن التي ظهرت فيها وثقافتها. في عام 1966، أضفى فينتوري الطابع الرسمي على الحركة في كتابه التعقيد والتناقض في الهندسة المعمارية.

أما الواقع الجزائري فتبرز فيه العمارة كأهم ما يرتسم في مشاهد حياتنا اليومية بما تعكسه من معاني ودلالات وقيم إنسانية تاريخية تؤثر بشكل مباشر على الهوية الثقافية والتاريخية للفرد والمجتمع الجزائري، والملاحظ أن العمارة في الجزائر هي ضمن أربع نماذج أساسية:

العمارة الأثرية القديمة: وتمثل فيما خلفه الرومان من مدن ومواقع أثرية معمارية كمدينة جميلة وهيون ومادور وموقع تيمقاد الأثري وخميسة إضافة إلى بعض الأضرحة الموريطانية والنوميديّة كضريح الملك ماسنيسا وضريح امدغاسن.

العمارة الإسلامية: وتمثل في مجموع القصور والقلاع والحصون والمساجد والأبراج التي ترتبط بالوجود الإسلامي في الجزائر أهمها قلعة بني حماد في المسيلة تأسست في 1007 ومدينة الناصرية ببجاية، إضافة إلى العمارة العثمانية التي تميزت بجمالها وأثرها التاريخي البارز في الثقافة الجزائرية مثل قصبة مدينة الجزائر التي بناها عروج في 1516 والتي يعتز بها الجزائريون والسكان المحليون ويعتبرونها جزءا من وجودهم وحياتهم اليومية، بل ويقدمون معالمها ويتمثلون معانيها خاصة في الحفاظ عن اللباس التقليدي والحرف التي اشتهرت بها، وهذا ما يؤكد الوعي الفينومينولوجي للفرد الجزائري بأهمية العمارة في حياته وسلوكه اليومي وتمثلاته الثقافية، فالقصبة ليست ببنان حجري فقط بل هوية وجودية تتوارثها الأجيال من سكانها المحليين وسكان الجزائر عامة كما أن العمارة العثمانية تنوعت ضمن العديد من الأنماط كالقصور كقصر الدار الحمراء وقصر الرياس وقصر مصطفى باشا، والتي تظهر جمالا فنيا مبدعا تتزاحم فيه الأشكال الهندسية والأقواس والزخارف النباتية والكتابة الأثرية ضمن قوالب ساحرة وجاذبة كما تشكل المساجد كذلك مشهدا عمرانيا بارزا في الجزائر مثل مسجد كتشاوة ومسجد حسن باشا ومسجد سيدي عبد الرحمان.

العمارة الفرنسية في الجزائر (في فترة الاستعمار): وهي ما شيدته الاستعمار الفرنسي من مباني عمرانية في مختلف المدن الجزائرية وفق الطراز الأوروبي المعروف في بدايات القرن العشرين، وهذا نلاحظه في المدن الكبرى في الجزائر كالعاصمة، وهران، وعنابة وبجاية وغيرها، فالعمارة الأوروبية في الجزائر تشكل المظهر المعماري الأهم في هذه المدن ويتم استغلالها حاليا كمساكن أو مرافق عمومية وإدارات مختلفة، كما أن هناك العديد من الكنائس والمباني الدينية المسيحية التي تعبر عن الذوق الأوروبي المعماري ككاتدرائية نوتردام وكنيسة القديس أوغسطين وغيرها، وتظل العمارة الأوروبية في الجزائر شاهدة على مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر الحديث الذي تميز بمحاولة الاستعمار الفرنسي من خلال هذه البنايات العمرانية نحو الوعي بالهوية الجزائرية الإسلامية بتغليب النموذج العمراني الأوروبي على ذلك النمط الإسلامي في العمارة الجزائرية، خاصة لما تشير إليه النقوش والتمائيل المعمارية من رموز دينية مسيحية وثقافة أوروبية خالصة تبقى غير مستساغة في النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري طوال السنوات الماضية والحاضرة.

العمارة الجزائرية الحديثة: والتي تم تشييدها بعد الاستقلال والتي تميزت بتغليب معايير الكفاية والكم على الكيف والجمال والفن الإبداعي في التصميم، خاصة تلك الإنشاءات العمرانية التي تم بناؤها في المدن الكبرى، فيبدو في الكثير من الأحيان المشهد العمراني مشهدا كثيبا فوضويا بل عبثيا في الكثير من الأحيان، فنلاحظ الكثير من المدن والأحياء هي عبارة عن تجمعات سكنية في شكل بنايات مكعبة تتجاور وتلتصق ببعضها البعض، كما نلاحظ العديد من الأشكال المتداخلة وغير واضحة المعالم في النسيج العمراني ومنها بنايات ذات الحجر الأحمر غير مكتملة الإنشاء ومنها مباني هشة ومنها مباني قصديرية ومنها مباني قديمة غير نظيفة تفتقر في مجملها لمرافق الراحة الجسدية والنفسية والروحية والترفيهية، وهذا ما يجعل العمارة الحديثة في الجزائر عمارة فوضوية التصميم والشكل والاستخدام لا تعكس هوية واضحة للمجتمع الجزائري ولا تعبر عن روح فنية جمالية إبداعية في تصميمها ولا تنقل أي معنى واضح نحدد من خلاله الوعي الفينومينولوجي بأهميتها في حياتنا اليومية غير أن هذا المشهد لا نجده دائما الصورة المعممة في العمارة الجزائرية،

فهناك نماذج عمرانية في الكثير من المناطق خاصة في الجنوب الجزائري التي لها كيان ثقافي ورمزي خاص بها، كعمارة وادي ميزاب في غرداية وعمارة الألف قبة في وادي سوف، والتي تعبر عن الوعي بضرورة الحفاظ على الموروثات الثقافية في البنيان كنوع من الوعي بالوجود وعدم الانسياق وراء النماذج الحديثة للعمارة التكميلية.

4. فينومينولوجيا الدين للعمارة والحياة اليومية

تعتبر ثنائية الدين والعمارة من أكثر العلاقات الجدلية في التاريخ الإنساني فالدين هو الثقافة البشرية المتعالية معالمها في العمارة وهو روحها الحضارية، والعمارة هي المرآة المادية لصورة الدين في المجتمع "أخذنا بالاعتبار فكرة الكون والهة الكون، فان مرحلة البداية هذه كانت ضرورية وبما أن هذه المرحلة قد سبقت بالتأكيد الزمن الذي بني فيه ما يستحق اسم العمارة (وهي مبان قدست الأفكار) في جميع بقاع الأرض فإننا سنجد ها هنا العامل المكون لتصميم تلك المباني وفي هذا الكثير من الدلالة المرجعية " (وليام، 2011، ص16).

فأجل العمارات في الوجود الإنساني وأكثرها إبداعا وفنا تصميميا هي العمارة الدينية على الإطلاق، كما أنها الأكثر تقديسا وارتباطا بفينومينولوجيا حياة الفرد والمجتمع "ويقول الكاتب الألماني بارنس إن العمارة هي سجل لعقائد المجتمع" (توفيق، 1972، ص21)، فالتاريخ يسجل ذلك الصراع الحضاري بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي الذي هو صراع ديني في الأساس، وامتد منذ القرون الوسطى وإلى يومنا هذا وكانت العمارة هي الصورة المادية لهذا الصراع، فيفرح المسيحيون برفع الصليب فوق مساجد حولوها إلى كنائس في مدن انتصروا فيها ويتهج المسلمون عندما يرفعون الهلال فوق كنائس حولوها إلى مساجد في أماكن فتحوها، غير أن الوجود الإسلامي في الكثير من المناطق في العالم اثبت تعايش أكثر بين الكنيسة والمسجد وهذا ما نلاحظه في حضائر الأندلس والقدس ومصر والشرق الأوسط في تلك المرحلة التاريخية من الصراع، ولعل هذا ما يبرر جمالية وإبداع العمارة الدينية ورغبة كل طرف في أن تكون عمارته الدينية الأكثر جمالا وذوقا فنيا وزخرفة لكي تخلد في التاريخ وتبقى بصمة الدين ثابتة وظاهرة في كل تفاصيلها ونقوشها وهندستها المعمارية، وهذا يعكس دلالات فينومينولوجية تاريخية وعقدية مهمة للعمارة الدينية في حياة البشر، فنجد من المساجد الأكثر حضورا في الحياة الاجتماعية عند المسلمين المسجد الحرام والمسجد النبوي والجامع الأموي والمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة والعديد من المساجد الأخرى في كل أرجاء الأرض، كما نجد العديد من الكنائس ككنيسة القيامة و كاتدرائية القديس بطرس بايطاليا وكاتدرائية القديس أسيل في روسيا وغيرها.

اما الواقع السوسولوجي الجزائري فهو لا يختلف كثيرا عن واقع المجتمعات الإسلامية، فالدين الإسلامي مترسخ في القيم الجمعية للمجتمع الجزائري بل أن معظم الممارسات اليومية والسلوكات الاجتماعية والمعايير والقيم الثقافية والأعراف الإنسانية مصدرها الدين الإسلامي وتمثالاته السوسولوجية في حياة الفرد والجماعة، حيث يعرف الدين بأنه " فالدين هو العلاقة الروحية والعاطفية بين الإنسان وقوى ما فوق الطبيعة، أو الكائنات التي يقدم لها العبادات و يقيم لها الممارسات الطقوسية التي تُعينه على الاتصال بهذه القوى وتمكنه من إدامة تلك العلاقة التي تصبح مقننة في النظام

الإجتماعي، ويعرف الدين كذلك بأنه نسق من المعتقدات والممارسات المباشرة الموجه نحو اهتمامات المجتمع الأساسية والجماعية، ويعرف أيضاً بأنه مجموعة من النظم الصارمة " (عبد علي، 2007، ص 140).
غير أن المسجد هو عمارة الإسلام الأولى لذلك تنتشر المساجد بصورة كبيرة في المجتمع الجزائري و تسعى الجماعات الساكنة لبناء مسجد في كل تجمع سكاني أو مدينة أو قرية، ويكون ذلك من خلال المجهودات التطوعية في اغلب الأحيان فالفرد الجزائري من أكثر الأفراد تقديسا للمسجد، الذي يساهم بدوره في تكوين الشخصية الإنسانية للفرد الجزائري وتنميط للعلاقات الاجتماعية في المجتمع، فالمسجد يعتبر في الجزائر مؤسسة للتنشئة الاجتماعية والتربية وتلقين القيم الأكثر قبولا في المجتمع وهو في نفس الوقت إحدى أهم مؤسسات الضبط الاجتماع، ي فمعظم الأفراد والجماعات الاجتماعية يؤدون الصلوات في أوقاتها الخمس في المساجد والكثير من أبناء الأسر يتلقون التعليم الديني من حفظ القرآن في المساجد ويلتزم المسلمون بالكثير من الآداب والضوابط السلوكية والاجتماعية عند زيارة المساجد فهي أماكن مقدسة روحيا وسلوكيا، وفهم أكثر لهذه المعاني الفينومينولوجية لأثر المسجد على الحياة اليومية للفرد والمجتمع، فيمكن أن نعتبر المسجد كعمارة إشعاع يؤثر على الفرد والجماعة والمجتمع من الناحية السوسولوجية، فالفرد على وعي بأهمية المسجد في حياته من كل الجوانب والأبعاد والمسجد مصدر للوعي الفردي والجمعي ويعتبر مخزونا للتصورات والمعاني المشتركة في المجتمع الجزائري التي تؤثر بشكل واضح على طبيعة السلوكات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية واستقرار المجتمع ضمن القيم الجمعية المشتركة.

5. فينومينولوجيا العمارة وأهميتها في الهوية والذات

يعتبر التساؤل الهوي من أكثر التساؤلات مشاغبة في الحياة الإنسانية، فالهوية الذاتية والاجتماعية تتحدد منذ اللحظة الأولى لولادة الإنسان وتتغير معاييرها مع مرور العمر غير أن المجتمعات الإنسانية تهتم اهتماما كبيرا بتحديد الرموز الثقافية والتاريخية والعقدية والأخلاق الجمعية، التي تحدد هويتها الراسخة بين المجتمعات الأخرى وعليه فنرى أن اقرب شرح فينومينولوجي للهوية هو ذلك التعريف الذي قدمه جنكز "الهوية الاجتماعية هي تصورنا حول من نحن ومن الآخرون وكذلك تصور الآخرين حول أنفسهم وحول الآخرين" (هارلبس وهولبورن، 2010، ص 93)، وتفهم الهوية كذلك " وإذا كانت أنماط السلوك في واقع الامر تعبيرا عن اندفاعات ورغبات داخلية فإنها كما يرى أريكسون تنطلق بالتوازي وبالضرورة من سياق اجتماعي تؤخذ فيه دلالة ومعنى، وتمنح فاعلها في الوقت نفسه وعلى نحو فوري مكانا اجتماعيا ويتمثل ذلك المركز الاجتماعي الذي يتحدد وفقا لتقييم الآخر وضعية محددة بالنسبة إلى مجموعة أنماط السلوك الخاصة بجماعة الانتماء " (أليكس، 1993، ص 109) وعليه فالهوية تفهم ضمن طرح التصورات والتقييمات المشتركة حول الحياة الاجتماعية في جميع تفاصيلها، ثم تتحدد الهوية من خلال الفهم المشترك والتصنيف الفينومينولوجي للتصورات الاجتماعية، وعليه فالعمارة تشكل حسا ماديا واجتماعيا من خلاله يحدد الفرد هويته الذاتية وتتحدد في نفس الوقت المعايير الهويوية للمجتمع، فالذات تكتسب التعريف الهويوي من خلال ما توفره البيئة الاجتماعية من

تقييمات لها قد تكون العمارة إحدى هذه المعايير الأساسية فيها، هذا ما يتفق مع مفهوم التصنيف للفرد شوتر الذي تم شرحه سابقا، ولفهم ذلك وفق الواقع العفوي اليومي للمجتمع الجزائري سنعطي أمثلة واقعية حول هذا التصنيف الذي يكون وفق المعايير المشتركة والتصورات حول العمارة، فعند سؤال أحد السكان عن عنوان مسكنه فيشير على سبيل المثال انه يسكن في حي البناء الأحمر وهذا مثال واقعي يرمز به سكان إحدى المناطق الحضرية في مدينة عنابة لأنفسهم فهم يصنفون أنفسهم بأنهم سكان البنايات الحمراء، وسميت بالحمراء لأنها كلها بنايات حديثة لم يكتمل بناؤها بعد فتظهر باللون الأحمر للحجر الذي بنيت به، وهذا ما يعطي تصنيفا فينومينولوجيا للعمارة يحدد من خلالها السكان هوية لهم مقارنة بباقي الجماعات السكانية الأخرى، وهناك العديد من الأمثلة التي يعج بها واقعنا الجزائري كما يستطيع الفرد أن يسقط ذوقه الذاتي وحسه الفني ليحدد هوية العمارة التي يسكن فيها لتكون امتداد لهويته الذاتية، ومثال من الواقع الاجتماعي كان يهتم فرد بعينه بجمالية العمارة التي يسكن فيها دون الآخرين ويهتم بنظافتها وتزيينها وزخرفتها وتعليق اللوحات الفنية في مدخلها والاهتمام بالمساحات الخضراء فيها، وهذا ما يفسر نمط محدد من الهوية التي يريد هذا الفرد إعطاؤها كتعريف للعمارة فيبدو أن العلاقة بين الهوية الفردية والاجتماعية وهوية العمارة هي علاقة جدلية فكل يعطي ويضفي تفاصيل محددة على وجود الآخر.

كما أن تأثير العمارة على الشعور بالهوية والذات عند الفرد يكون من خلال العديد من العناصر الأساسية في حياة الفرد وخاصة ما ارتبط بضرورة أن توفر العمارة الحاجات الإنسانية الجوهرية في وجود الفرد، كان تحقق العمارة حاجات الأمن والقرب من أماكن التموين الغذائية، حاجات التقدير واحترام الحياة الخاصة، تحقيق الذات، النظافة، المتعة الجمالية والترفيهية، الاطمئنان النفسي، الشعور بالأهمية كذات اجتماعية ضمن الفضاء السكاني للعمارة، ولعلّ الواقع الجزائري يفتقد للكثير من هذه العناصر الأساسية في التشييد العمراني الذي تحشد فيه العمارات بشكل متلاصق تفتقد لشروط النظافة والمساحات الخضراء والترفيه وجمالية المنظر العام، وتعتبر العمارات مجرد كتل وأتقال حجرية تفتقد لهوية عمرانية وثقافية واضحة وتؤثر بدورها سلبا في تشكيل هوية الفرد ضمن فضاءها الاجتماعي.

6. فينومينولوجيا التصميم البيوفيلي وأهميته في الحياة اليومية للفرد والمجتمع

لا تكتمل هوية الفرد في وجوده إلا عند تكامله مع الطبيعة التي يعيش فيها فلا أنا ولا وجود من دون عناصر الطبيعة في الحياة، فلا نتصور أن يعيش الإنسان دون هواء أو ماء أو ضوء أو نبات وحيوان، لذا تسعى التصميم الحديثة إلى إنشاء عمارة بيوفيلية، يتفاعل من خلالها الإنسان مع مكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، فالمعنى الفينومينولوجي للعمارة قد يمتد إلى أن تصبح الحياة الاجتماعية فيها حياة جميلة ومرحة يتكامل فيها الإنسان مع الطبيعة وهذا ما يعرف بالتصميم البيوفيلي، الذي يعتمد في الأساس على مفهوم البيوفيليا الذي يتضمن الولع الإنساني الفطري في ميله للكائنات الحية الأخرى مثل النباتات والحيوانات ويشرح أدوارد ويلنسون ذلك.

"there is modern biology has produced a genuinely new way of looking at the world that is incidentally congenial to the inner direction of biophilia in other words instinct is in this rare instance aligned with reason" (Edward, Wilson, 1984, p02).

وعليه فالبيوفيليا تعني أن الحياة المريحة للكائنات البشرية لا تكون إلا ضمن ظواهر الطبيعة والكائنات الحية الأخرى كالنبات والحيوان، لذا فالتصميم المعماري الذي يعتمد على البيوفيليا يأخذ بعين الاعتبار هذا الوعي البشري ومعانيه الوجودية في تصميم عمارة يسكنها البشر تضمن التواصل الوظيفي الضروري مع الطبيعة، وتوفر له قدر من المتعة بجمالية الاقتراب أكثر من الطبيعة "يمكن أن يؤدي التعرض للمحيط الطبيعي والكائنات الحية، وفقاً لفرضية البيوفيليا، إلى تحسين صحة الإنسان ورفاهيته. يمكن أن تشمل هذه تقليل التوتر، وتعزيز الإدراك وتحسين المزاج وقد أثر هذا المفهوم على مناهج التصميم، لاسيما في مجال التصميم البيوفيلي الذي يهدف إلى إنشاء مساحات مبنية تجمع بين العناصر والأنماط الطبيعية لتعزيز الصحة والرفاهية " (عبر، بشاير، 2023، ص360).

ويعتبر التصميم البيوفيلي إحدى النتائج الأساسية لمجموع تلك الأبحاث التي ترى في أن الجبال وشواطئ البحار والحدائق هي مناطق طبيعية لا بد من استلهاهم عناصرها الطبيعية، وإعادة تشكيلها إبداعيا واستدراج تفاصيلها ضمن التصميمات العمرانية، لما لها من آثار إيجابية على صحة الإنسان النفسية والعصبية والجسدية والعاطفية، لذا فإن التصميم البيوفيلي الحديثة تحرص على الاقتراب أكثر من الطبيعة بإلحاق العمران بمحاذات الخضراء، وتربية الحيوانات الأليفة، وصنع الواجهات الزجاجية التي تسمح بالإضاءة والإشعاع اللوني، والتمكن من الإطلالة على الطبيعة دون حواجز حجرية عاتمة، وتعتبر كل هذه العناصر التي يتم الاهتمام فيها في التصميمات البيوفيلية أبعادا فينومينولوجية جوهرية في حياة الفرد والمجتمع.

ويوضح مارتن هارواغن أربعة عشر نمطا للتصميم البيوفيلي ودورها في تقليل الضغوط النفسية وأثارها الإيجابية على الإنسان والحياة الاجتماعية ونوردها في الجدول التالي:

جدول 1 : يوضح أنماط التصميم البيوفيلي وأهميته في حياة الإنسان

أنماط التصميم البيوفيلي	تقليل الضغط النفسي والعصبي	الاداء الادراكي	العواطف والمزاج العام
1-الاتصال البصري مع الطبيعة.	تقليل ضغط الدم ومعدل ضربات القلب.	تحسين المشاركة العقلية واليقظة.	زيادة التوجهات الايجابية والسعادة الشاملة.

2-الاتصال غير بصري مع الطبيعة.	يقلل ضغط الدم لانتقاضي والمهرمونات المسببة للضغط العصبي.	تأثير ايجابي على الأداء الإدراكي.	تحسين ملموس في الصحة العقلية والإحساس بالطمأنينة.
3- المحفزات الحسية غير الايقاعية.	تأثير ايجابي على معدلات ضربات القلب وضغط الدم لانتقاضي ونشاط الجهاز العصبي التعاطفي.	تحسن ملحوظ ويمكن قياسه في القدرة على الانتباه والاكتشاف والفحص.	
4-تنوع تدفق الهواء والحرارة.	تأثير ايجابي على الإحساس بالراحة والصحة العامة والإنتاجية.	وتأثير ايجابي على القدرة على التركيز.	إدراك محسن بالسعادة بالمكان والزمان.
5-تواجد الماء.	يقلل الضغط العصبي ويزيد الإحساس بالهدوء والطمأنينة ويقلل معدلات ضربات القلب وضغط الدم.	يحسن القدرة على التركيز واستعادة الذاكرة ويحسن الإدراك والاستجابة النفسية.	استجابة عاطفية ايجابية وتميز ملحوظ.
6- انتشار وديناميكية الضوء.	يزيد من الراحة البصرية وتأثير ايجابي على الأنظمة الوظيفية الادائية.		
7-النماذج المستعارة من الطبيعة.			تميز في الرؤية والملاحظة.
8-الاتصال مع الانظمة الطبيعية (نبات وحيوان).			استجابة صحية ايجابية ونقل إدراك البيئة المحيطة.
9-الاتصال المادي مع الطبيعة (الخامات الطبيعية).	التأثير الايجابي على الإدراك الحسي والاستجابة النفسية للضغط العصبي.	يقلل من ضغط الدم الانبساطي ويحسن الأداء الإبداعي.	يزيد من الإحساس بالراحة.

10-التعقيد والنظام.	تأثير إيجابي على الإدراك الحسي والاستجابة النفسية.		تميز في الرؤية والملاحظة.
11-مشاهدة الطبيعة.	يقلل الضغط العصبي.	يقلل الإحساس بالملل والتوتر والتعب.	يزيد الإحساس بالراحة وتصور الشعور بالأمان.
12-الملجأ والمأوى.		يحسن القدرة على التركيز والانتباه وإدراك الشعور بالأمان.	
13-الغموض.			الحث على الشعور القوي بالسعادة.
14-المخاطرة.			ينشأ عنه تدفق قوي لمادة الدوبامين من المخ.

المصدر: مصطفى، 2017، ص 19.

أما الواقع الجزائري فيمكن بسهولة أن نلاحظ أن تصميم العمارة لا يلتزم بالنماذج البيوفيلية بحيث تغيب تلك الدراسات الهندسية التي تولي أهمية بالاتصال الإنساني المرن مع كل مكونات وعناصر الطبيعة، التي تؤثر عليه إيجابيا في حياته اليومية، فلا وجود لمساحات خضراء يتم الاعتناء بها ولا وجود لاماكن مجاري الماء كالنفورات، ولا يتم توزيع الألوان في التصميم الداخلي أو الخارجي، ولا يمكن ضمان مشاهد طبيعية ذات جمال قد تطرب له النفس وترتاح له العاطفة الإنسانية، كما لا يتم الاهتمام بنظافة المكان والهواء والحرارة وعدم احترام خصوصية الفرد أثناء إنشاء مساكن العمارة، وهذا الواقع السوسولوجي بحاجة إلى تأملات علمية تمكننا من مراجعة خطط العمران والإسكان في الجزائر، بحيث يكون معيارها الأساسي هذا الإنسان بحيث نوفر له التواصل المريح مع بيئته الطبيعية والاجتماعية وان يعكس المعمار ثقافته وقيمه في المجتمع.

7.الخاتمة:

لقد اشرنا سابقا أن العمارة جزء جوهري في الحياة اليومية للفرد والمجتمع، فلا يمكن إلا أن نعيش في مأوى سكني يقع في عمارة معينة، ولا يمكن أن نقوم بأدوارنا الاجتماعية إلا في عمارات متعددة من مدارس وجامعات ومباني إدارية ومصانع و مساجد وغيرها، غير أن الإشكال الذي كان دوما يشاغب هدوءنا العلمي هو مدى أهمية العمارة في حياتنا وهل فعلا تؤثر العمارة بكل تفاصيلها ومكوناتها الحاضرة والماضية في سلوكنا الاجتماعي وراحتنا النفسية والجسدية وعلاقاتنا

الاجتماعية والروحية، وهل يدعو تعالي الكثير من العمارات في بيئاتنا الاجتماعية إلى انبعاث معاني وقيم إنسانية وثقافية ودينية وأخلاقية معينة، تتفاعل مع كل ما نمر به في حياتنا اليومية، وكنتيجة لهذا كان هدفنا البحثي هو استكشاف ذلك من خلال الفينومينولوجيا كاتجاه سوسولوجي يتم من خلاله قراءة الواقع الجزائري قراءة سوسولوجية من حيث التاريخ والتراث الدين الهوية والذات والتصميم البيوفيلي، فالفينومينولوجيا هي علم الظواهر في استبطان الوعي المعرفي أي أن ترد كل الموضوعات والظواهر للوعي الإنساني لمعرفة حقيقتها وحركتها، وهذا ما جعل هدف البحث يتحدد أكثر في فينومينولوجيا العمارة وأهميتها في الحياة اليومية للفرد والمجتمع، فالفينومينولوجيا تهتم بعالم المعاني والتصورات المشتركة التي من خلالها تكون الخبرات الإنسانية والاجتماعية المكونة للوعي المعرفي للأفراد والجماعات، كما طبقنا في بحثنا كل من آلية التصنيف الفينومينولوجي لألفرد شوتز والية تعليق الحكم على الموضوع ورد الموضوع إلى الوعي أي الإبوعية والرد الفينومينولوجي الترانسندنتالي لأدموند هوسرل وعلى العموم كانت نتائج الدراسة موضحة كالتالي:

اولا: تعتبر العمارة الشاهد المادي والمعنوي لوجود الإنسان وتشبيده للحضائر والمدن، وهي قصة التاريخ بما تحتويه من نقوش ورموز ومعاني مختلفة في التراث الثقافي والديني والاجتماعي، وهي تنقل الحقائق التاريخية جيل بعد جيل ما يجعل العمارة التاريخية عمارة مترسخة في الوعي الفينومينولوجي الاجتماعي، وتساهم في تجسيد التصورات المشتركة للهوية الفردية والاجتماعية كما تصنف الشعوب والأمم أنفسها على الأساس الثقافي المشترك وتكون العمارة إحدى أهم معايير هذا التصنيف، فالمسجد كعمارة للمسلمين يختلف عن العمارة القوطية الخاصة بالاوروبيين، كما أن الواقع الجزائري المعاصر للعمارة هو عبارة عن مشهد عمراني فوضوي وعثيا في الكثير من الأحيان، مساكن متداخلة وغير نظيفة وبنائات فوضوية وعمارات مكعبة، تفتقد لأدنى اللمسات الإبداعية والجمالية للذوق المعماري، ولا ترسل أي معاني واضحة يتمثلها الفرد في هوية وجوده.

ثانيا: وتعتبر العمارة الدينية أكثر الأنماط العمرانية حضورا في التاريخ البشري بل أجملها تصميمًا وإبداعا فنيا فحضائر الأندلس ومساجدها ومساجد المسلمين والكنائس، كلها تعكس ذوقا معماريا ثقافيا ودينيا معينًا، وهي حاضرة تاريخيا في ذلك الصراع الديني بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي خلال القرون الوسطى، ويعتبر المسجد هو العمارة الدينية الأهم في الوقت المعاصر في المجتمع الجزائري، وهو مؤسسة للتنشئة والضبط الاجتماعي وهو عمارة للراحة والنفسية والاشرافة الروحية للفرد الجزائري، فنجد أن هناك انتشار كبير للمساجد في المجتمع لما لها من وعي فينومينولوجي راسخ في الفهم العام المشترك في المجتمع فهي مناطق الصلاة والعبادة والاستقرار النفسي والأمن الاجتماعي

ثالثا: إن هوية العمارة تتشكل انطلاقا من الهوية الاجتماعية للمجتمع، كما أن الفرد يستمد في الكثير من الأحيان هويته من المعاني والدلالات المختلفة للعمارة والتي تؤثر على الشعور بالهوية والذات عند الفرد من خلال العديد من العناصر الأساسية في حياة الفرد وخاصة ما ارتبط بضرورة أن توفر العمارة الحاجات الإنسانية الجوهرية في وجوده، كان تحقق العمارة حاجات الأمن والقرب من أماكن التموين الغذائية، حاجات التقدير واحترام الحياة الخاصة، تحقيق الذات، النظافة، المتعة الجمالية والترفيهية، الاطمئنان النفسي، الشعور بالأهمية كذات اجتماعية ضمن الفضاء السكاني للعمارة، ولعلّ الواقع الجزائري يفتقد للكثير من هذه العناصر الأساسية في التشييد العمراني الذي تحشد فيه

العمارات بشكل متلاصق تفتقد لشروط النظافة والمساحات الخضراء والترفيه وجمالية المنظر العام، وتعتبر العمارات مجرد كتل وأثقال حجرية تفتقد لهوية عمرانية وثقافية واضحة وتؤثر بدورها سلبا في تشكيل هوية الفرد ضمن فضاءها الاجتماعي.

رابعا: تعتبر البيوفيليا بالمعنى الذي يصبح فيه الإنسان مولعا بالحياة ضمن ظواهر الطبيعة والكائنات الحية إحدى أهم عناصر التصميم العمراني الحديث أي التصميم البيوفيلي، بحيث يتنامى الوعي الاجتماعي بأن الحياة المريحة والصحة الجيدة من الناحية الجسدية والنفسية والروحية وتحقيق المزاج الايجابي والسعادة لا تكون إلا من خلال العيش في عمارات تضمن التواصل مع كل عناصر الطبيعة، (الاتصال البصري، الهواء، الماء، الضوء الحرارة، النماذج الهندسية المستعارة من الطبيعة، النبات، الحيوان، المناظر الطبيعية الجميلة، الألوان الواجهات الخضراء، الحدائق)، أما الواقع الجزائري فيوضح انه لا يتم اعتماد التصميم البيوفيلية في بناء اغلب الإنشاءات العمرانية، فلا وجود للمساحات الخضراء ولا لتدفقات الماء ولا للتوزيع المتوازن للضوء والحرارة، ولا تضمن العمارة مشاهد طبيعية جميلة لسكانها، وهذا يعد تأخرا كبيرا في الوعي الاجتماعي الرسمي وغير الرسمي بأهمية فينومينولوجيا التصميم البيوفيلية في إنشاء العمارة المعاصرة في المجتمع الجزائري.

8. قائمة المراجع:

- إبراهيم، عيسى عثمان، (2008)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- أليكس، ميكشيللي، ترجمة: علي وطفة، (1993)، الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق سوريا.
- باجو، مصطفى. كعبوش، زكرياء، (2020)، العمارة المعاصرة بين الأصالة والتقليد، مجلة أفاق علمية جامعة غرداية الجزائر، مجلد 12، العدد 1.
- بشاير رشيدان السحيمي عبير عبد هلالا السبحي (2023)، دور التصميم البيوفيلي في البيئات التعليمية المجلة العربية للنشر العلمي الأردن الإصدار السادس - العدد ستون، 355 - 370.
- هارلبس، هولبورن، ترجمة: حاتم حميد محسن، (2010)، سوشولوجيا الثقافة والهوية، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سورية.
- مصطفى، خلف عبد الجواد، (2011)، نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن.
- مصطفى، علا محمد سمير اسماعيل، (2017)، النظرية الظاهرية فينومينولوجيا العمارة architecture Phenomenology كأساس لمفهوم التصميم الداخلي البيوفيلي Interior Philic-Bio Design، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية مصر، يناير 5، 241 - 265.
- عبد الرحمان، ابن مُجَد بن خلدون، (2005)، مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت لبنان.

- عبد علي سلمان المالكي، (2007)، المدخل الى الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، مطبعة النجف الأشرف، العراق.
- توفيق، احمد عبد الجواد، (1972)، تاريخ العمارة الحديثة في القرن العشرين ، مكتبة الانجلومصرية، مصر.
- صبيح لفتة، فرحات. ناظم مُجَد، حوراء، (2021) ، الفن والعمارة، مركز البحوث والدراسات والنشر، مطبعة الرفاه، بغداد العراق.
- وليام، ريتشارد ليتايفي، ترجمة : طه الدوري، (2011)، العمارة والأسطورة والروحانيات، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ظبي.
- خيرى مرعي، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود،

https://faculty.ksu.edu.sa/sites/default/files/01_renaissance_16_sept_16.pdf

- Edward o, Wilson, (1984), biophilia, Harvard university press, England.
- Mark, jarzomberk, (2005), Architecture against Architecture, disengaging the metaphysical Alliance, N° 29, Massachusetts institute of technology USA.
- Sebastiaan ,Loosen. Rajesh, Heynickx. Hilde, Heynen, (2020) ,Conditioning Architectural Theory, 1960s - 1990s, Leuven University Press, Belgium.
- Stamatis Zografos, (2024), Architecture and Fire, UCL Press, London.